جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الأول

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

تاثير حضارات الشرق القديم في اللغة

أ.م.د.اميرة محمود خضير
كلية التربية للعلوم الانسانية
العراق، جامعة ديالى
الايميل:am9r9a@yahoo.com

تاثير حضارات الشرق القديم في اللغة

أ.م.د.اميرة محمود خضير
كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالى
العراق

مقدمة:

عرف المجتمع الانسانى اللغة فى أقدم صوره، فاللغة ظاهرة تميز الانسان عن الكائنات الأخرى واختص بها فأتاحت له أن يكون المجتمع وأن يقيم الحضارة لذا فاللغة والحضارة ظواهر متداخلة متكاملة. لقد أثار كثير من المفكرين على مضى القرون قضية أولية اللغة أم المجتمع أم الحضارة، وأثاروا أيضا قضية اللغة والفكر أيهما سبق الآخر، ولكن البحث الحديث يحاول أن يبتعد عن هذه الدائرة المفرغة من التساؤلات حول مراحل يصعب الوصول إليها ليثبت تلازم اللغة مع فكر الانسان وضرورة اللغة ليقام المجتمع الانسانى وضرورة وجود مجتمع انسانى يتعاون فى إقامة الحضارة.

إن الانسان مارس اللغة منذ آلاف السنين، هى عمر الانسان على الأرض ثم فكر الانسان فى أن يدون اللغة ويخلدها بذلك للأجيال التالية، كان هذا فى مصر والعراق منذ خمسة آلاف سنة فقط، وظلت أكثر الشعوب على مدى العصور لا تكتب. فاللغة قديمة قدم المجتمع الانسانى، وكتابتها ظاهرة حديثة نسبيا، وهناك شعوب كثيرة لم تدون لغتها إلا فى السنوات الأخيرة، كثير من أبناء هذه الشعوب أميون وبعضهم لا يتصور أن تلك العبارات التى ينطق بها يمكن أن تدون. فاللغة توجد، سواء أكتبت أم لم تكتب فالانسان يحتاج الى اللغة فى حياته اليومية، ولكن تدوين اللغة لا يأتى عادة إلا فى مرحلة من الرقى الحضارى.

أما البحث العلمى فى اللغة فهو ظاهرة حديثة نسبيا، وشبيه بهذا أمر البحث العلمى فى فروع المعرفة المختلفة. فالانسان يتنفس منذ وجد ولكن المعرفة الحقيقة بالجهاز التنفسى وبعملية الشهيق وبعملية الزفير وما يرتبط بهما من عمليات فسيولوجية داخل جسم الانسان تعد من الحقائق التى أتى بها البحث العلمى منذ وقت قريب نسبيا. ان الانسان عرف الماء واحس به وأفاد منه فى حياته اليومية، ولكن التحليل العلمى لمكونات الماء وخصائصه ودوره الحيوى فى جسم الانسان عمل علمى لا يعرفه بالضرورة كل من يستخدم الماء أو يشربه. وشبيه بهذا أمر اللغة، فاللغة قديمة قدم المجتمع الانسانى،

ولكن البحث فى اللغة لم ينشأ إلا فى إطار التقدم العلمى، ولذا فهو أمر حديث نسبيا بالنسبة لتاريخ الانسان.

المبحث الاول:

اشكالية البحث واهميته:

الحضارة بمفهومها العصري هي نشأة لبعض الأمم البائدة التي سادت وعاشت منطقة ما في تاريخٍ ما واندثرت وبقيت لها آثار تدل على هذه الأمة أو الحضارة البائدة من أدوات أو نصوص مكتوبة أو بقايا هياكل عظمية تشير لهذه الأمة التي كانت عظيمة في يومٍ ما ثم اندثرت، وعلى ضوء هذا التوضيح سنتكلم عن أقدم الحضارات التي قامت على هذه الأرض منذ الأزل:

اهداف البحث: يهدف البحث الحالي الى معرفة تطور اللغة عبر حضارات الشرق الادنى وذلك من خلال الاجابة عن السؤالين الاتين الاتية:

١- ماتاثير حضارة واد الرافدين في تطور اللغة ؟

٢- ماتاثير حضارات مصر وبلاد الشام في تطور اللغة ؟

تحديد المفاهيم الواردة في البحث:

تعريف اللغة: اولا: تعريف اللغة

نظرا لأهمية اللغة في حياة الامم، فقد حظيت بمزيد من الدراسة والبحث والتحليل من قبل المتخصصين في المجالات العلمية المختلفة، مما ادى الى ظهور العديد من التعاريف للغة، والتي تباينت في منظورها تبعا لاختلاف اهتمام المختصين، فنلاحظ ان اللغوين في تعريفهم للغة اكدوا على قواعد النحو والصرف والتراكيب اللغوية مع اهتمامهم بالرموز اللغوية المنطوقة فقط، في حين نجد ان علماء الاجتماع اكدوا في تعريفهم للغة على الوظيفة التفاعلية الاجتماعية لها في الوقت الذي لم يهملوا الرموز غير اللفظية. اما علماء نفس اللغة، فقد اكدوا على عمليات الاكتساب والارتقاء والانتاج اللغوي بالإضافة الى المعاني والدلالات والعمليات النفسية المرتبطة بها.

ويرى (Kelloge,1997) ان اللغة هي نظام من الاصوات اللفظية الاصطلاحية التب تستخدم في الاتصال المتبادل بين جماعة من الناس بحيث يمكن من خلال هذا النظام تسمية الاشياء والاحداث وتصنيفها.

ويرى(الزغول والهنداوي،٢٠٠٢) ان اللغة هي وسيلة التعبير عن الفكر والمشاعر والآراء ممثلا بالوسائل الصوتية التي تدل عليها.[١]

ويعرف ابن جني اللغة بانها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم ويؤكد في هذا التعريف بان اللغة ظاهرة صوتية وان لها وظيفة اجتماعية وهي الربط بين افراد المجتمع وان لكل مجتمع لغته الخاصة.

اما دي سوسير فيعرف اللغة بانها نظام ذهني يتم بموجبه ربط العناصر اللغوية سواء على المستوى الفونولوجي او الصرفي او النحوي ويرى ان هذا النظام هو الذي يحدد القيمة الوظيفية للكلمات.

ويمكن النظر الى اللغة على انها جميع الرموز المنطوقة وغير المنطوقة التي يستخدمها افراد مجتمع ما كأداة من ادوات التخاطب للتعبير عن المشاعر والاحداث والآراء والافكار والرغبات.[٢]

و اللغة لها خاصية إنسانية Feature of human ترتبط بالإنسان دون الحيوان؛ ولذلك عدها "وليام ويتني" WilliamWhitney مؤسسة اجتماعية Social institutions، واللغة كائن حي، وكلّما اتسعت حضارة أمة، نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودخلت فيها ألفاظ جديدة عن طريق الوضع، والاشتقاق والاقتباس أو الاقتراض للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة، فتحيا هذه اللغة وتتطور عبر الزمن وتتلاقح مع غيرها من اللغات.

ولا أحد منّا ينكر أنّ اللغات تتداخل وتتلاقح كلما اتصلت إحداها بالأخرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأنّ أية لغة من اللغات في العالم كما تؤثر في غيرها، فإنها أيضا تتأثر. وإنّه "من المتعذر أن تظل لغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى"".[٣]

اللغة هي الوسيلة التي التي يعبر بها الانسان عن افكاره ومايدور بخلده وهي الوسيلة للتفاهم والتعامل مع افراد المجتع مع واللغة عبارة عن نسق من الاشارات يمكن ان يستعمل للتواصل او بمعنى اخر هي تلك القابلية التي يتوفر.

---

[١] الزغول، رافع النصير والزغول، عماد عبد الرحيم.(٢٠٠٣). علم النفس المعرفي، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع ط١.

[٢] صديق، ليلى، تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، مجلة حوليات التراث، العدد الخامس،٢٠٠٦.

[٣] صديق، ليلى، تأثير اللغة العربية في غيرها من اللغات، مجلة حوليات التراث، العدد الخامس،٢٠٠٦.

عليها الانسان لاختراع الرموز بكيفية معتمدة، نجد هنا ان اللغة خاصة بالانسان وتختلف عن لغة الحيوان اذ يستخدم الحيوان الاشارات في توصله مع الحيوانات الاخرى.[١]

تعريف الحضارة: الحضارة لغة:

جاءت كلمة الحضارة من الحضر والحضرة و الحاضرة وهي: خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار.[٢]

لقد استخدم ابن منظور الحضارة بمعنى الحضر وهو الاستخدام الوحيد، وقد أورد استخدامات أخرى للحضارة بطريقة مختلفة، وهي الحضور نقيض المغيب، وحضر حضورا بمعنى حضر عنده.[٣]

نستخدم مصطلح الحضارة بكثرة واشكال مختلفة خلال حياتنا اليومية فنقول هذا شيء حضاري، هذا شاب حضاري، لكن هنالك العديد من هم لايعلمون ماالمقصود بالحضارة وعلى ماذا ترتكز وماعناصرها.

وللحضارة تعريفات كثيرة تخدم نفس المعنى،يعرفها البعض هي كل مايميز امة عن امة اخرى من حيث العادات والتقاليد، اسوب المعيشة، التمسك بالقيم والاخلاق.

والحضارة في اللغة العربية مشتقة من الفعل حضر ويقال الحضارة هي القرى والارياف والمنازل المسكونة وهي خلاف البدو والبداوة والبادية الحضارة فى اللغة تنطق بكسر الحاء وفتحها، وهى فى اللغة مشتقة من الحضر، وهم سكان المراكز العمرانية، وبذلك فالحضارة فى اللغة تعنى الاقامة فى الحضر وهى ضد البداوة فيقال فلان من اهل البادية وفلان مدنى من اهل الحضر.

ويعرف احمد عبدالرازق الحضارة بانها: مجموعة من المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مثل وتقاليد وافكار ونظم وقوانين تعالج المشكلات المتعلقة بافراد هذه المجموعة البشرية او بعبارة مختصرة هى جميع مظاهر النشاط البشرى.[٤]

---

[١] حاتم صالح ضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد،كلية الاداب،١٣٩.

[٢] عارف، نصر محمد. الحضارة الثقافة المدنية. ط ٢. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤م.

[٣] بن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري هـ. لسان العرب. ط ١. بيروت: دار صادر. ٤ ١٩٧.

[٤] عبدالرازق، احمد،الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، ١٩٩٥م.

وعرف احمد شلبى فى موسوعته عن الحضارة الاسلامية اذ يقول"وعلى هذا فالحضارة الاسلامية هى ما قدمه الاسلام للمجتمع البشري من فكر يرفع شأنه وييسر امور حياته، ونقول للمجتمع البشرى وليس للمجتمع الاسلامى فحسب اذ ان الاسلام قدم ماثره للبشر جميعا وبعض هذه الماثر يتضح مع غير المسلمين اكثر مما يتضح مع المسلمين.[١]

ولم يتفق الباحثون في التاريخ والاجتماع والحضارة على تعريف معين لها، وإنما اختلفت تعريفاتهم تبعا لاختلاف عقائدهم ومذاهبهم ومدارسهم، وجاء العرب المحدثون ليقول البعض منهم إن الحضارة: هي عقائد دينية، وازدهار اقتصادي، وإنجازات إنشائية، وأنظمة تشريعية، وتضامن اجتماعي، وفق تقاليد وعادات موحدة، أو قوى حربية.

ومنهم من عدها بأنها: الإنجازات التي تحققت للبشرية، أو تحققها البشرية، من خلق وسلوك ومعارف، بينما يراها آخر بأنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة، مقصودا أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية ويجدها آخر بأنها: البحث الفكري، والبحث الروحي.

وهذا المفهوم يتسم بالسطحية واللا تحديد كما يظهر.[٢]

العلاقة بين اللغة والحضارة:

اللغة تلد الحضارة:

تتأثر اللغة – أي لغة – بالروح السائدة للحضارة وإنجازاتها وآلياتها، وينعكس في اللغة النمط الحضاري السائد في مجتمع من المجتمعات، والحضارة تتأثر باللغة: بأنماطها التعبيرية وقدراتها الإبداعية التي اكتسبتها عبر تاريخها الطويل، وإذا كان من الميسور التدليل على تأثير الحضارة فى اللغة والإتيان بالشواهد الكثيرة التي تعززه، مثلاً اللغة العربية تمتلئ بالألفاظ التى تصف الصحراء وحيواناتها ومظاهر الحياة فيها، كما كان تأثير البحر واضحاً في مفردات اللغة الإنجليزية.. إذا كان ذلك ميسوراً فإن تأثر الحضارة باللغة خاض فيه الفلاسفة، وعلماء اللغة المحدثون تحت ما سُمِّي بعلاقة

---

[١] شلبى، احمد، موسوعة الحضارة الاسلامية ، الجزء الاول ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٩.

[٢] خضر،طه عبيد. الحضارة العربية الإسلامية. ب، ت،ص ١٠٥.

الفكر باللغة، ووجدوا تأثيراً خفيًّا للغة في طريقة تفكير الناس وتصوراتهم عن الكون والحياة، برغم أن اللغة هي في المحل الأخير من ابتداعهم.[١]

المبحث الثالث: حضارات الشرق الادنى:

حضارة وادي الرافدين:

جميع كتب التاريخ تتفق على ان العراق (بلاد النهرين) منبت أول حضارة على الارض، الى جانب الحضارتين المصرية والسورية. ابتدأ النشاط البشري الملموس في حدود (١٠٠-٦٠) ألف سنة ق.م، حيث ظهرت آثار الجماعات الأولى من انسان (نياندرتال) في منطقة الرطبة وحوض الموصل وكهف شنايد.

- وإن (مرحلة الحضارة العراقية القديمة) قد دامت حوالي ٣٠٠٠ عام، أي بين(٣٠٠٠) قبل الميلاد، حتى سقوط بابل (آخر دولة عراقية قديمة) في القرن السادس ق.م وعرفت بـ (حضارة بلاد النهرين). ومقر هذه الحضارة هو العراق الحالي، بالاضافة الى أجزاء أخرى تابعة له جغرافياً وحضارياً ((في سوريا . منطقة الجزيرة . كذلك في ايران) الاحواز)، ثم في جنوب تركيا . أعالي النهرين)). ولكن هذه الحضارة النهرينية كانت من القوة والتأثير انها شملت كل الشرق الاوسط.[٢]
- حضارة ما بين النهرين (الرافدين –العراق):أثبتت الدراسات والاكتشافات التاريخية في باب علم الآثار إن هذه الحضارة من أقدم الحضارات التي تم اكتشافها، ويعود تاريخ هذه الحضارة إلى ٦٠٠٠-٨٠٠٠ سنة ق.م، وقد وقد أطلق الإغريق القدماء اسم (ميسوبوتاميا)، ومعنى هذا المصطلح {بلاد ما بين النهرين}، ومن أشهر الحضارات التي قامت في مهد ما بين النهرين (السومرية، الآشورية، الكلدانية، الآكادية).

وأول حضارة فعلية قامت في بلاد ما بين النهرين هي (سومر)، أعرق وأقدم الحضارات التي عرفتها الاكتشافات البشرية، والتي أصبحت تعرف بعد عام ٢٠٠٠ ق.م باسم (بابل). وكانت تقطن هذه الحضارة في العراق القديمة بالقرب من مصادر المياه والمعروفة اليوم بـ (دجلة والفرات)، وهي أهم

---

[١] عبد الواحد،/ فاضل الأدب / حضارة العراق / ج ١ / بغداد ١٩٨٥،ص١٥.

[٢] خضر، طه عبيد. الحضارة العربية الإسلامية. ب، ت،ص ١٠٥.

الروافد المعذية للعراق بالماء، وكانت سومر تعتمد في حياتها على الزراعة والصيد، وتعد أول حضارة اكتشفت الكتابة ونقشتها على الألواح الفخارية او الصلصالية والتي نسبت إليهم اللغة المسمارية فيما بعد، و كانت هي الكتابة الوحيدة السائدة ذاك الوقت، وكانت هي وسيلة التواصل ما بين شعوب الشرق الأدنى القديم.

من المعلوم انه منذ القرن التاسع عشر والكشف عن الحضارة العراقية اختلف العلماء حول حقيقة السومريين وانقسموا إلى فريقين، أحدهم يعتقد بوجود الشعب السومري بدليل وجود اللغة السومرية. أما الفريق الآخر فقد رأى أنه لا يوجد دليل واضح على وجود السومريين كشعب، وأن اللغة السومرية كانت لغة سرية من ابتكار البابليين أنفسهم وكانت هذه اللغة تستخدم لأغراض دينية وشعائرية.[١]

والمؤرخ العراقي نائل حنون يقدم لنا الادلة على صحة الفرضية القائلة بعدم وجود السومريين،بعد دراسة علمية اثرية استمرت خمس سنين درس خلالها أكثر من خمسة عشر ألفاً من المفردات السومرية والأكادية. وتبين بصورة واضحة ان السومريين ما وجدوا كشعب وكمجموعة أثنية مستقلة أو ذات خصوصية، بل ان (السومرية) هي ظاهرة كتابية لا أكثر. وعلى الأرجح ان السومريين هم أنفسهم أسلاف الأكاديين مخترعي هذه اللغة التدوينية. من خلال ما تقدم يتضح لنا إن الافتراض بوجود شعب سومري، يستدل على وجوده من وجود اللغة التي أطلق عليها اسم اللغة السومرية ومن أسماء الأعلام المصاغة بهذه اللغة، يثير من الأسئلة والإشكالات أكثر مما يجيب عليه .ويتضح لنا أيضاً انه لا توجد أدلة سوى اللغة على وجود السومريين باعتبارهم قوماً عاشوا مع الأكاديين أو سبقوهم على أرض جنوب بلاد الرافدين.

وحتى في مجال الكتابة أصبح جلياً إن الدراسات العلمية الرصينة لا تميل إلى قبول الرأي القائل أنها من اختراع السومريين. ومن هنا فأننا نميل بدليل ما تقدم، إلى الاعتقاد بعدم وجود شعب يختلف قومياً عن الأكاديين بهذا الاسم. وأما اللغة السومرية فلدينا ما يكفي من الأسباب التي تجعلنا نذهب إلى أنها لغة وضعت من قبل الأكاديين لغرض التدوين قبل أن يتمكنوا من ابتكار وسيلة لتدوين اللغة الأكادية نفسها. ونرى أن اللغة السومرية بالشكل التي وضعت فيه لم تكن قابلة للتحدث بها، كما

---

[١] حنون، نائل، دراسات اخرى في علم الاثار والنصوص المسمارية، ٢٠٠٧، دمشق،٢٠٠٧، ٣٩.

سنوضح لاحقاً ولكنها ساعدت الأكاديين على التوصل إلى المقطعية، بعد المرحلتين الصورية والرمزية.[١]

الكتاب يورد العديد العديد من الادلة والشروحات التي تؤكد هذه الفكرة، منها: ·الدليل الوحيد على الوجود المفترض للسومريين هو وجود اللغة السومرية ولكن هل يمكن أن نستدل على وجود شعب من لغة خاصة بالتدوين فقط ولا تستعمل في التخاطب. ان الاختلافات بين السومرية والأكادية ليست كافية لنفي ارتباط اللغتين. ان السومرية هي البداية لما طُوِّر لاحقاً على يد الأكاديين..((بدأ الناس بكتابة ما ينطقون به بشكل رموز بدائية)).

ثم طوروا تلك الرموز.. أي أنه طبيعي أن تتم تلك النقلة بغض النظر عن صاحبها.. ·هذه ليست المرة الأولى التي يقوم بها العلماء الغربيين بالتلاعب بالحقائق المتصلة بمعطيات تاريخية وأثرية، ولا هي المرة الأولى التي يحاولون فيها نسب المنجزات التي قدمها العرب أو الساميون إلى غيرهم من الشعوب.

من الادلة الواضحة على هذا التلاعب المقصود، عندما اضيف زوراً أسم السومريون في كثير من الرقم حيث ورد أحياناً (الشعب السومري) وأحياناً (أرض سومر)، في تراجم العلماء الغربيين الذين نقلوا الكتابة من المسمارية إلى اللاتينية، ثم منها أخذ كل العلماء والباحثون في أصل اللغة والحضارة.[٢]

ولكن عندما عاد الباحث إلى الرقم الأولى التي تناولتها الترجمة، حتى اكتشف فيها خديعة كبرى هي أن هؤلاء العلماء، وأهمهم (كريمر) قاموا بزيادة صغيرة، فقط أضافوا (كلمة سومر وسومري) حيث ناسب ذلك .انه كلام مثير ولكن الرقم موجودة ويمكن التأكد منه. أن الرقم تذكر مثلاً عبارة) :خمس جرار إلى الأرض).. لكن ترجمة (كريمر) تقول: (خمسة جرار إلى أرض سومر .....أن ما سمي بالأدب السومري لم يدون قبل العصر البابلي القديم أي أن السومريين قد تم ذكرهم بعد اختفاء وجودهم المفترض بأكثر من خمسمائة عام! أي إن علم اللغة السومرية يقع بالأساس خارج العصر السومري حيث استمر التدوين بها من قبل العراقيين لأكثر من ألف عام بعد انتهاء السومريين.

---

[١] حنون، نائل، دراسات اخرى في علم الاثار والنصوص المسمارية، ٢٠٠٧،دمشق،٢٠٠٧، ٣٩.

[٢] سبيتينو، موسكان، ترجمة السيد يعقوب بكر،الحضارات السامية القديمة، بيروت، دار الرقي للطباعة، ١٩٨٦.

يبقى ان نشير الى أن) كريمر) هذا الذي أخذنا كلامه وصدقناه وتحولنا معه من البحث في تطور اللغة والحضارة إلى السؤال المحير والساذج عن (أصل السومريين)، هو إسرائيلي الهوية ويحضر المؤتمرات الدولية باسم إسرائيل.!

حتى الآن لم يتم العثور على أية أصول يقينية أو علاقة واضحة ومؤكدة مع أي لغة أخرى. إن اللغة السومرية لغة منعزلة ولا تعود إلى أي عائلة لغوية قديمة أو حديثة معروفة. وهذا يؤكد انها مصطنعة وليست طبيعية[١] ان العقيدة الدينية لسكان بلاد النهرين لا تدل على وجود شعبين مختلفين (سومري واكدي) بل شعب واحد بعقيدة دينية واحدة. ولا يتناقض ذلك أنه أطلق أسماء سومرية أو أكدية على عدد من الآلهة التي عبدوها. كذلك كانت مجالات الأدب باللغتين متطابقة ما يدل على تماثلها، وفي أحيان كثيرة يكون النص الأدبي نفسه مدوناً بكلتا اللغتين. ولم تكن هناك عملية نقل بين أبواب الأدب التسعة المتطابقة في النصوص السومرية والأكادية هى: قصص الآلهة والأبطال، الترانيم، المراثي، الرسائل الأدبية، المناظرات والحوارات، أدب الحكمة، أدب السحر، الهزل والهجاء، ونصوص متفرقة كانت بناية كل معبد تشيد في العصور التاريخية ويتوجب أن تحمل إسماً باللغة السومرية واستمر هذا العرف الى أواخر عصور تلك الحضارة. ونظراً لما لأبنية المعابد من أهمية وقدسية فلم يكن ممكنا أن يستمر الأكاديون في تسمية معابدهم بأسماء سومرية إذا كانت هذه لغة شعب آخر[٢] ثم هنالك المقاطع الرمزية التي وجدت في السومرية من دون أن تكون لها قيم صوتية وهذا ما يثبت أنها قد دخلت الى السومرية من اللغة الأصلية وهي الأكادية كما نعتقد على يد أصحابها الذين ابتكروا اللغة السومرية لغرض التدوين. حقيقة السومريين، ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية.

حضارة وادي النيل:

قبل حوالي ثلاثمائة سنة قبل الميلاد عرف المصريون القدماء نظام الكتابة، وما زالت آثارهم الباقية تبهر الألباب، وتنتزع الإعجاب خلال تاريخهم الطويل الذي امتد آلاف السنين على صفحات التاريخ.

وكان المصريون أصحاب حضارة عملية إلى أبعد الحدود، والأدلة على صدق ما سبق مستفيضة، وأعظمها آثارهم الخالدة ورسوماتهم الساحرة.

---

(١) سنيويوس شارل،ترجمة علي، محمد كرد، تاريخ حضارات العالم، الدار العالمية للكتب والنشر،٢٠١٢.

(٢) سبيتينو، موسكان،ترجمة السيد يعقوب بكر،الحضارات السامية القديمة، بيروت،دار الرقي للطباعة،١١٨،١٩٨٦-١٢٣.

فمن الناحية الدينية، حظهم كحظ الحضارة الغربية حديثًا، حيث الفارق بين تطورهم المادي، ونظامهم الروحي يمكن ملاحظته بوضوح؛ فلقد عبد الفراعنة الشمس وقدّسوا الحيوانات، ولقد قام إخناتون باختيار إله واحد وهو الشمس؛ فعبدوه ومن الناحية الاجتماعية، لعبت المرأة دورًا مذكورًا على ساحة الأحداث العامة، وكان للمرأة الفرعونية منزلتها العظيمة في المجتمع.[١]

ومع أن مراجع كثيرة يصعب حصرها، تؤكد كلها بأن تأسيس العلوم كان إنجازًا إغريقيًّا، وبأن الإغريق هم الذين أوجدوا الروح العلمية في الثقافة الأوربية؛ إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن بعض المؤلفين يزعمون أن الفكر الإغريقي الباهر لم يتحقق كطفرة غير مسبوقة، وإنما يدعون بأن هذا الفكر الخلاق استمد عناصره من الحضارات المصرية وغيرها من الحضارات الأقدم؛ إلا أن هذا الزعم ينقصه البرهان، ومحاولة إنكار الامتياز الثقافي الأوربي؛ بسبب كره الاستعمار، وبدافع الرغبة في الانتصار للذات، هذا ما يذكره بعض العلماء.

كان النظام التعليمي يركز على حفظ المعلومات وتنمية المهارات، مثلها مثل الحضارة السومرية، وكان على المتعلم أن يبدأ من البسيط إلى المعقّد، وكان التعليم مرتبطًا بأهمية الإنتاج والعمل.[٢]

وقد ذكر بعض الباحثين أن التعليم العالي كان مقره غالبًا في المعابد، ومن أشهر المعابد: جامعة "أون" أي: عين شمس، ومعبد الكرنك، وإدفو، وأن الأطفال من سن خمسة إلى أحد عشر عامًا كانوا يتعلمون القراءة وكتابة اللغة الهيروغليفية، وكانوا يدونون نصوصهم الدينية على خشب الأبنوس والعاج، وصفحات ورق البردي.

كان التعليم في مراحله الأولى يحصل عليه عامة الناس، أما التعليم العالي فكان من جملة الحقوق التي لا ينالها، ويتمتع بنورها إلا أبناء الفراعنة النبلاء.[٣]

ومن الحكم المصرية المأثورة في ميدان التعليم، قولهم في تمجيد شأن الكتابة: "كُن كاتبًا؛ تبلغ المجد والثروة"، وقولهم: "يا بني، إن أي مهنة من المهن محكومة بسواها إلا الرجل المثقف؛ فإنه يحكم نفسه بنفسه".

---

(١) الطنطاوي، وليد علي الحضارة المصرية القديمة وأسرارها، قسم اللغة العربية كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية – ماليزيا.

(٢) ذكري أنطون.. عالم اللغات القبطي الشهير.. في (مفتاح اللغة المصرية القديمة).

(٣) حنون ،نائل، دراسات اخرى في علم الاثار والنصوص المسمارية، ٢٠٠٧،دمشق، ٢٠٠٧.

والمعابد، والمقابر –مثلًا– من الشواهد الدالة على درجة عالية من الإتقان في الإنتاج، ولا شك أن النظام التربوي كان خلف هذا النجاح.

وأدَّى الدين دورًا عظيما في جميع الحضارات، وعلى الأخص الحضارة المصرية؛ فالتربية الدينية التي شكلت ثقافة الناس لم تكن سليمة المحتوى، حيث تعرضت المفاهيم الكلية للدين السماوي إلى التشويه والتحريف، وخاصة في ميدان التوحيد.

ورسَّخ النظام التربوي في مصر قديمًا الطبقية في المجتمع؛ حيث كان التعليم يعزِّز دور الكهنة الذين كانوا يقودون الحركة التعليمية، ويوفرون التربية الراقية لأبناء النبلاء ورجال البلاط؛ في حين أن الطبقة الفقيرة الكادحة إما أن تتحول إلى طبقة المحاربين حيث بعض الامتيازات، أو يظلون في وظائف مهنية تعتمد على المهارة اليدوية.[١]

حضارة بلاد الشام:

الاموريون:

نتشر الأموريون في أواخر العصر الأكدي في مناطق الجزيرة الفراتية شرق سوريا، واستمر تسرّبهم في عصر سلالة أور الثالثة إلى مناطق بلاد الرافدين الداخلية على شكل هجرات قبلية متتالية، وصاروا يستولون على الأراضي الزراعية ويهددون وحدة مملكة أور وحضارتها. وقد حاول شولغي (٢٠٩٤– ٢٠٤٧ق.م) Shulgi ثاني ملوك السلالة وضع حدّ لذلك، وقرر إنشاء سور. يعرف باسم «سور مارتو» – يمتد بين نهري دجلة وديالا شمالي بغداد بطول قدره نحو ٦٣كم لصدّ تغلغلهم. وقد تابع ابنه الأصغر شوسين (٢٠٣٧– ٢٠٢٩ق.م) Shu-Sin بناء السور وتوسيعه حتى بلغ نحو ٢٨٠كم.

الكنعانيون:

ان لفظة كنعان والكنعانيون يطلقان على المنطقة السورية الفلسطينية باسرها وعلى سكانها ولفظة كنعاني يطلق على اي عنصر لغوي سوري –فلسطيني لا ينتمي الى الارامية وكانت ارض كنعان منطقة جذابة في حد ذاتها لخصوبتها وكانت مفتوحة على مصر وارض الرافدين واسيا الصغرى والبحر المتوسط فضلا عن الصحراء التي جاء منها البدو الساميون،فتاريخها اذن متقطع تماما يتكون من

---

[١] محمد حرب فرزات: "تاريخ بلاد الشام القديم" منشورات جامعة دمشق ١٩٩٣ –١٩٩٤ ص ١١١.

تغيرات قومية وسياسية مستمرة تحير المتتبع وحدد تاريخ كنعن حضارتهم فالعبور المستمر لتلك الشعوب الكثيرة وتفاعلها مع بعضها كونت صورة ممختلطة من الحضارة.وقد غلب الاثر السامي بفضل ماسهمت الشعوب السامية في سوريا وفلسطين.[١]

العبرانيون:

يمثل العبرانيون الشعب السامي الرابع الرئيسي الذي سكن سورية بعد الآموريين والكنعانيين والآراميين، وبالنسبة لوجود العبرانين في سورية فتشير الروايات العبرانية إلى أن إبراهيم الخليل عليه السلام جدهم الأكبر قد أتى من أور في بلاد الرافدين بطريق حمران وأقام مؤقتاً قرب حبرون (الخليل) حيث تناسل أبناءه، وكان من نسلهم يعقوب عليه السلام الذي كان من بين أبنائه يوسف عليه السلام الذي أقام في مصر وارتفع شأنه بها ولحق إخوته به، وبعد حين من الزمن عاد ورثتهم مرة أخرى إلى فلسطين تحت قيادة موسى عليه السلام وتعددت آراء المؤرخين حول خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام، وإن كان يرجح أن يكون الخروج قد تم في عهد الفرعون مرنبتاح بن رعمسيس الثاني (١٢٢٤-١٢١٤ق.).

وعند منتصف القرن الثالث عشر ق. م، حاول العبرانيون احتلال الأراضي الخصبة من بادية شرق الأردن، وتجنب العبرانيون في تلك المرحلة الاصطدام بممالك أدوم ومؤاب وعمون التي تقع إلى جنوبي البحر الميت وشرقيه وشماله الشرق.[٢]

وبدأ العبرانيون يمدون سيطرتهم على المدن الكنعانية مثل عاي وأريحا وغيرها واستطاعوا توسيع ممتلكاتهم، وعندما سيطر العبرانيون على البلاد كانوا يقسمونها بين القبائل الإحدى عشرة.

هم أحد فروع الدوحة السامية. وينسب اسمهم إلى عابر، أحد أجداد إبراهيم الذي أتى بهم إلى فلسطين وقد منحهم اللقب الكنعانيون، إذ سموا إبراهيم ابرام العبراني بعد أن عبر نهر الفرات إلى فلسطين. وفي القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م. ذكرت النقوش في ما بين النهرين وسورية وفلسطين ومصر "الخابرو "الذين كانوا نزلا. وجنود وعبيد. وظن بعضهم أن العبرانيين جزء من "الخابرو" وانتشر الاسم "عبرانيون" بين الأمم. واستعمله العبرانيون أنفسهم، وان كانوا يفضلون لفظة" إسرائيليين".

---

[١] سبيتينو، موسكان، ترجمة السيد يعقوب بكر، الحضارات السامية القديمة، بيروت، دار الرقي للطباعة، ١١٨،١٩٨٦-١٢٣.

[٢] الشامي، رشاد،العبرانيون في العصور القديمة الاكتشافات الاثرية، ج ٢؛القاهرة،٢٠٠١.

وشغلت فترة الاستيطان حتى قرب نهاية القرن الحادي عشر ق. م، وهي تقابل ما يسمى بعصر القضاة، وفي تلك الفترة استقر الفلسطينيون وهم إحدى مجموعات شعوب البحر الذين هاجموا منطقة الشرق الأدنى القديم وتمكن فرعون مصر، في الأسرة العشرون، رعمسيس الثالث (١١٨٢ 1151 – ق. م) من هزيمتهم ودحرهم على الساحل الجنوبي لسورية الذي صار يطلق عليهPhilistia ، وامتد نفوذهم من غزة حتى جنوبي يافا وقد توسعوا من المنطقة الساحلية إلى الداخل واستولوا على عدد من المدن الكنعانية ونظموا مدنهم بشكل ممالك مدن، وتمكن الفلسطينيون من هزيمة العبرانيين والتضييق عليهم.[١]

الاراميون:

ظهرت الحضارة الارامية في قطاع عريض بين كنعان وارض الرافدين معاو الآراميون» شعب سامي استقر في منطقة الهلال الخصيب، ثم في بلاد الشام حول حوران، في تاريخ قديم قد يكون القرن السادس عشر قبل الميلاد. وكان الاسم مقروناً باسم «الأخلامو» (أي «الرفاق» أو «الأحلاف» باللغة العمورية القديمة). وتُعَدُّ هجرة الخابيرو والآراميين جزءاً من حركة الأخلامو التي أعقبت هجرة العموريين والكنعانيين. وتقرر التوراة أن الآراميين ينتسبون إلى آرام بن سام بن نوح، وأن ثمة صلة عميقة بينهم وبين العبرانيين.

بدأ الآراميون يستقرون في منطقة الهلال الخصيب مع ضعف آشور في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد وانهيار الإمبراطورية الحيثية، وأسسوا عدة ممالك إلى الشرق من الفرات، كما بسطوا نفوذهم على الشام وعلى سهل البقاع الواقع بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية. وقامت إمارة آرامية عند منحنى نهر الفرات في المنطقة التي تقع بين إقليم الجزيرة وسوريا الحالية، وامتدت رقعتها حتى نهر الخابور الذي يتفرع من الفرات ويتجه إلى الشمال، لذلك سُمِّيت «آرام نهاريم» أي «آرام النهرين».

وتُعزى هزيمة الآراميين إلى فشلهم في تكوين وحدة سياسية فعالة. ولكن الدويلات الآرامية في منطقة نهر دجلة استمرت في الهجوم على آشور. ونجحت قبيلة كالدو الآرامية (الكلدانيون في العهد القديم) في الثورة على الآشوريين ووفقت في الوصول إلى الحكم بعد أن عقدت تحالفاً مع الميديين، وأسست الدولة البابلية الجديدة.

---

[١] خليف بشار، العبرانيون في تاريخ المشرق العربي القديم،٢٠٠٤.

وقد تفاعل الآراميون مع الحضارات القائمة: العموريين والفينيقيين والحيثيين، فأقبلوا عليها واقتبسوا منها وتخلصوا من طابع البداوة. إلا أن الأمر الفريد في هذه الظاهرة هو أن الآراميين، رغم اقتباسهم من الحضارات القائمة، احتفظوا بلغتهم ولم يستبدلو بها غيرها كما فعل العبرانيون والفلستيون.[١]

المبحث الرابع: لغات حضارات الشرق الادنى:

منذ قديم الأزل يستخدم المجتمع الإنسانى آلاف اللغات واللهجات، منها لغات مستقلة بذاتها ليس لها أى صلة قرابة باللغات الأخرى، ومنها مجموعات كبيرة أو صغيرة للغات ولهجات تربطها صلة قرابة وشبه. من بين المجموعات اللغوية الكثيرة التى استخدمها المجتمع الانسانى منذ القدم، أسرة اللغات السامية.

إفترض باحثو اللغات السامية أن مصدرها من لغة واحدة أطلقوا عليها اسم "ما قبل السامية" أو "السامية القديمة". ومكان السامية القديمة غير معروف وتدور التخمينات حول: شبه الجزيرة العربية أو ما بين النهرين أو شم نشأة اللغات السامية والعلاقة بينها.

هناك نظريتان أساسيتان حول نشأة اللغات السامية والعلاقة بينها: الأولى "شجرة الأنساب" والثانية "نظرية الأمواج". يُشَبِّه مؤيدو نظرية "شجرة الأنساب" نشأة اللغات السامية وتفرعها وانفصالها بالشجرة التى أنبتت فروعاً ثم فروعاً أخرى. لذلك يجب أنت تكون اللغات السامية قد أُشتُقت من لغة أم واحدة – اللغة السامية القديمة التى تفرعت فى بدايتها إلى فرعين:

السامية الشرقية والسامية الغربية. ويقصد بالسامية الشرقية اللغة الأكَّادية التى تفرعت إلى البابلية والأشورية. أما السامية الغربية فتفرعت إلى سامية شمالية غربية وسامية جنوبية غربية. أما الفرع الشمإلى الغربى فقد تفرعت منه أربعة فروع: الأوجاريتية والأمورية والآرامية والكنعانية التى انقسمت إلى كنعانية قديمة وفينيقية ومؤابية وعمونية وعبرية. أما الفرع الجنوبى الغربى فانقسم إلى الحبشية والعربية والحِميَرية.والأفريقيا وغيرها. أما من الناحية التخطيطية فيمكن وصف انقسام اللغات السامية وتفرعها بالأتى: السامية القديمة (ما قبل السامية) وتنقسم إلى: سامية شرقية – أكدية – وسامية غربية. السامية الشرقية تضم البابلية والأشورية. السامية الغربية تنقسم إلى سامية شمالية غربية وسامية جنوبية غربية. تضم السامية الشمالية الغربية: الآرامية والأمورية والكنعانية والأوجاريتية. وتضم الكنعانية: العبرية

---

[١] محمد حرب فرزات: "تاريخ بلاد الشام القديم" منشورات جامعة دمشق ١٩٩٣ –١٩٩٤.

والعمونية والمؤابية والكنعانية القديمة والفينيقية وتضم الفينيقية الفونية. أما السامية الجنوبية الغربية فتضم: العربية والحميرية (العربية الجنوبية) الحبشية.

يشير التقسيم التخطيطى، القائم على أساس جغرافى، أن الأساس الفكرى للنظرية هو أن الاختلافات بين لغة سامية وأخرى قد حدث نظراُ للبعد الجغرافى بينهما. بذلك فإنه كلما ابتعدت اللغة جغرافياً عن اللغة الأخرى فإنها تختلف عنها أكثر. وكلما اقتربت أكثر من لغة أخرى جغرافياً فإنها تكون أكثر شبهاً بها. غير أن هذه النظرية لا تناسب الواقع اللغوى القائم أمام الباحث. على العكس، فهناك بعض الظواهر اللغوية فى اللغة الأكَّادية نظيرها موجود فى اللغة العبرية، أو وجود ظواهر أكدية أخرى نظيرها موجود فى اللغة الحبشية القديمة. على الرغم من أن هذه اللغات بعيدة عن بعضها البعض سواء من الناحية الجغرافية أو من الناحية التاريخية. كما ينقص تلك النظرية ظواهر مختلفة مرتبطة باللغة الأوجاريتية القريبة جغرافياً من المناطق التى استخدمت لغات تنتمى إلى اللغة السامية الشمالية الغربية. وعلى الرغم من تشابهها فى بعض خطوطها العريضة إلاَّ أنها ترتبط فى جزء كبير منها باللغات التى تنتمى إلى اللغة السامية الجنوبية الغربية: الحبشية القديمة، العربية والحِميَرية، مثل بعض الصوامت (الحروف) وحروف الجر والفعل بل فى بعض مفردات القاموس اللغوى.

و ظهرت في نصوص السومرية أسماء للهجات متعددة أو تفريعات للغة السومرية، وبعد التدقيق تبين إنها ليست لهجات وإنما طرق استعمال مختلفة للغة السومرية. وبذلك يمكن التأكيد على أن السومرية لغة ابتكرت لترسم لترسم على الألواح أكثر من كونها لغة محكية أمكن اختراع الكتابة لها.[١]

اللغة السومرية:

تمثل العلامات الصورية على الألواح الطينية المكتشفة في مدينة الوركاء أقدم محاولات الإنسان العراقي القديم في الكتابة وتدوين اللغة ونقلها إلى الغير.. (وهناك من يرى أن علامات هذه الألواح لا تمثل أقدم الكتابات بل كان كاتبوها، وهم من السومريين قد استخدموا نظاما كتابيا كان موجودا أصلا إلا أنه من صنع حضارة مبكرة مفقودة حتى الآن).. ويرجع تاريخ هذه الألواح إلى الفترة (٣٥٠٠ – ٣٢٠٠ ق. م) أما أقدم الألواح التي تحمل علامات كتابية أمكن التعرف على لغة كاتبيها فتمثلها الألواح المكتشفة في كل من الوركاء (الطبقة الثانية والثالثة).. ولقد تمكن الباحثون بعد محاولات عدة تحديد لغة علامات هذه الألواح باللغة السومرية التي ظلت بالاستخدام في الفترة التالية وطوال الألف الثالث قبل الميلاد وما بعده.. ويؤكد علماء اللغة العرب والأجانب أن اللغة السومرية هي

---

[١] نفس المصدر للصفحة السابقة.

أقدم اللغات العراقية القديمة من حيث تاريخ التدوين، بل أنها أقدم اللغات البشرية المعروفة التي وجدت طريقها للتدوين وتليها اللغة الاكدية واللغة المصرية القديمة، حيث عرفت الكتابة الهيروغليفية في مصر في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، أي بعد ابتداع الكتابة في القسم الجنوبي من العراق بمدة من الزمن قدرها بعض الباحثين بعدة قرون أو قرنين عل أرجح الآراء.[١]

أن هناك جداول مسمارية ثنائية اللغة تضم مفردات بابلية والى جانبها ما يقابلها بلغة أخرى جديدة تماما لا علاقة لها باللغة البابلية أو الأشورية وقد أطلق (رولنصون) على هذه اللغة اسم اللغة الاكدية.. كما أشار بعد ذلك إلى أن هناك نصوصا مسمارية كشف عنها في بابل وهي مدونة باللغة الجديدة التي أطلق عليها اللغة الاكدية وخلص إلى الافتراض بأن البابليين، أو الاكديين، هم الذين اخترعوا الكتابة المسمارية وهم الذين أسسوا المدن والمعابد الأولى.. وهكذا تاريخها يمكن تمييز أربعة أدوار مرت بها اللغة السومرية: اللغة السومرية المماتةarchaic Sumerian ، واللغة السومرية القديمة أو الكلاسيكية (الفصحىOld or Classical (، واللغة السومرية المحدثةNew Sumerian ، واللغة السومرية المتأخرةPost-Sumerian . تمكن (رولنصون) من اكتشاف حقيقة وجود السومريين ولغتهم إلا انه سماهم باسم آخر غير اسمهم الحقيقي.[٢]

مراحل اللغة السومرية:

كان اول استخدام اللغة السومرية للتدوين منذ الألف الرابع قبل الميلاد – كما مر ذكره – إلا أن اللغة السومرية لابد أن كانت في الاستخدام قبل هذا التاريخ بفترة معينة تتزامن وتاريخ استقرار السومريين في جنوب العراق.. وخلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد وحتى قيام المملكة الاكدية (٢٣٧١ ق. م) كانت السومرية هي اللغة الرئيسة السائدة على النطاق الشعبي والرسمي ولغة المكاتبات الرسمية والشخصية والدينية، وقد جاءتنا آلاف من النصوص المسمارية المدونة خلال تلك الفترة تضمنت مختلف المواضيع فمنها الوثائق الإدارية والاقتصادية والنصوص الملكية والكتابات الأدبية كالترانيم والرقي والصلوات والشرائع القانونية والقرارات القضائية والأمثال والأساطير وغيرها.. ثم بدأ استخدام الاكدية إلى جانب السومرية مع مجيء الأقوام الاكدية في فترة غير معروفة على وجه الدقة.. إلا أن الانتقال من اللغة السومرية إلى الاكدية بدا بعد تأسيس المملكة الاكدية وأصبحت اللغة الرسمية في البلاد هي اللغة الاكدية إلى جانب السومرية.[٣]

---

[١] حنون، نائل، دراسات اخرى في علم الاثار والنصوص المسمارية، ٢٠٠٧،دمشق، ٢٠٠٧، ٣٩.

[٢] السومريون واللغة السومرية – دراسة علمية العدد ٩٤ –كانون الأول ٢٠١٥ مجلة الموروث.

[٣] الموسوي، هاشم عبود، موسوعة الحضارات القديمة، ط١، دار الحامد للنشر والطباعة، عمان، ٢٠١٣.

ولما طرأ على اللغة السومرية تغييرات عبر العصور التي مرت بها واختلاف اللغة المدونة حسب الفترات الزمنية التي تعود إليها النصوص المكتشفة، وان كان الاختلاف بسيطا، فقد ميز الباحثون عددا من المراحل التي مرت بها اللغة السومرية استنادا إلى النصوص المكتشفة وحسبما يأتي:

١. المرحلة السحيقة (٣٥٠٠ – ٢٦٠٠ ق. م) ومعظم هذه نصوص هذه الفترة مقتضب وبسيط وذو طابع اقتصادي.
٢. مرحلة العصر السومري القديم (٢٦٠٠ – ٢٣٥٠ ق. م) عثر على نصوص هذه المرحلة في مدينة لكش (تقرا الكاف كالجيم المصرية) بالدرجة الأولى وبعض المدن السومرية الأخرى وجلها نصوص اقتصادية وكتابات ملكية.
٣. المرحلة السرجونية والكوتية (٢٣٥٠ – ٢١٥٠ ق. م) ونصوص هذه الفترة قليلة ولا سيما الفترة الكوتية.
٤. مرحلة العصر السومري الحديث (٢١٥٠ – ٢٠٠٠ ق. م) ومعظم نصوص هذه الفترة التي تميزت بسيادة الأقوام السومرية في عهد سلالة أور الثالثة جاءتنا من مدينة لكش واوما وأور وغالبيتها نصوص اقتصادية وبعض النصوص القانونية.. وفضلا عن ذلك خلفت لنا هذه الفترة نصوصا قانونية وأدبية كثيرة بعضها مستنسخ في فترة العهد البابلي القديم.
٥. مرحلة العهد البابلي القديم (٢٠٠٠ – ١٦٠٠ ق. م) وهناك أكثر من مرحلتين من مراحل اللغة السومرية خلال هذه الفترة.
٦. مرحلة ما بعد العهد البابلي القديم (١٦٠٠ – ١٠٠٠ ق. م) ومعظم نصوص هذه المرحلة عبارة عن استنساخات لنصوص سومرية من الفترات السابقة وكذلك بعض النصوص الملكية الكشية وبعض النتاجات الأدبية الكشية ولغة هذه النصوص متأثرة باللغة الاكدية.[١]

اللغة الاكدية:

هي لغة سامية قديمة، ظهرت في بلاد النهرين، منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد وانتشرت لتصبح لغة المراسلات الرسمية في الهلال الخصيب وعموم بلدان الشرق الاوسط. وهي تصنف ضمن مجموعة اللغات السامية الشرقية. تأثرت اللغة الأكادية باللغة السومرية، وهي لغة غير سامية والتي كانت مستعملة إلى جانب الأكادية، ثم حلت الأكادية محلها في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. وبقيت اللغة

[١] عبد الواحد،/ فاضل الأدب / حضارة العراق / ج ١ / بغداد ١٩٨٥،ص١٥.

الأكادية (بلهجتيها البابلية والآشورية (سائدة في العراق لثلاثة آلاف عام، حيث حلت الآرامية محلها في القرون الأخيرة السابقة للميلاد.[١]

مراحل اللغة الأكادية:

. المرحلة الأكادية (من حوالي ٢٨٠٠ حتى ٢٠٠٠ قبل الميلاد)

. المرحلة البابلية (من حوالي 2000 حتى ١٠٠٠ قبل الميلاد)

. المرحلة الآشورية (من حوالي ١٠٠٠ حتى سقوط الدولة الآشورية في القرن الخامس قبل الميلاد)

الاكدية تدوَّن بالخط المسماري الذي ورثته من السومرية، فوق ألواح الطين. وهى اللغة الوحيدة التى حفظت كتابات ترجع إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، دُوِّنَت بالخط المسمارى على ألواح من الفخار، ومن أهم هذه الكتابات: قوانين مدينة אֶשְׁנֻנָּ (إشنونا) من بداية الألف الثانى ق.م، وقوانين حمورابى من القرن السابع عشر ق.م، ملحمة جلجامش من القرن السادس عشر ق.م ورسائل تل العمارنة من القرن الرابع عشر ق.م وغيرها.[٢]

وفي حدود سنة 3200 ق. م. ابتكر العراقيون الكتابة (المسمارية . (Cuneiform حيث كتبت بها اللغة السومرية، ونشروها في أنحاء الشرق الاوسط حيث أصبحت هذه الكتابة هي الوحيدة المتداولة، واستعملتها شعوب ايران والاناضول والشام، بل حتى في مصر أحياناً حسب بعض الوثائق الآثارية .في عام ٢٤٠٠ ق.م تم اعتماد هذا الخط المسماري لكتابة اللغة الأكدية بلهجتيها الآشورية الشمالية والبابلية الجنوبية. ورغم إحلال الاكدية بدل السومرية، إلاّ أن العراقيين حافظوا على اللغة السومرية كلغة مقدسة خاصة برجال الدين. دام استعمال هذه الكتابة حوالي ٣٠٠٠ عام، أي حتى قبل الميلاد ببضعة قرون إذ بدأت الكتابة الابجدية القادمة من الشام تنتشر مع انتشار اللغة ألآرامية خصوصاً أثناء حكم السلالة الاخيرة (الكلدانية الجنوبية.[٣]

---

[١] أبراهام بار يوسف ترجمة: عمرو زكريا / اللغات السامية/ / موقع جمعية المترجمين العرب.

[٢] الموسوي، هاشم عبود، موسوعة الحضارات القديمة، ط١، دار الحامد للنشر والطباعة، عمان، ٢٠١٣.

[٣] سلمان، عامر،اللغة الاكدية (البابلية،الاشورية)تاريخها وتدوينها، وقواعدها، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥.

لقد دون العراقيون بالمسمارية السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والشؤون الدينية والعبادات. وأيام حكم الملك حمورابي (١٧٢٨– ١٦٨٦ ق.م.) وضع شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء مملكة بابل.

لقد دون العراقيون بالمسمارية السجلات الرسمية وأعمال وتاريخ الملوك والأمراء والشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والأحوال الشخصية والمراسلات والآداب والأساطير والشؤون الدينية والعبادات. وأيام حكم الملك حمورابي (١٧٢٨– ١٦٨٦ ق.م.) وضع شريعة واحدة تسري أحكامها في جميع أنحاء مملكة بابل.[١]

وهذه الشريعة عرفت بقانون حمورابي الذي كان يضم القانون المدني والأحوال الشخصية وقانون العقوبات. وفي عصره دونت العلوم. وكان الملك آشوربانيبال (٦٦٨– ٦٢٦ ق.م.) من أكثر ملوك السلالة الآشورية ثقافة. فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب قومية خاصة شيَّدها في عاصمته نينوى بالعراق. وجمع فيها كل الألواح الطينية التي دونت فوقها العلوم والمعارف.[٢]

ان اختراع الكتابة وإدخالها في الاستعمال العام أهم حدث في التاريخ الفكري للبشر، فهو الحد الذي يفصل بين مرحلة ما قبل التاريخ والمراحل التاريخية اللاحقة. سميت الكتابة السومرية بالكتابة المسمارية لأن شكلها يشبه المسامير. والسبب في ذلك عائد إلى طبيعة المواد التي استعملوها في الكتابة: ألواح من طين تغمس الكتابة فيها غمساً بواسطة قلم من قصب فيشكل الغمس في الرقيم الطيني مثلثاً يشبه رأس المسمار. ثم تخط خطوط عمودية وأخرى أفقية فيحصل على شكل مشابه للمسمار. بعد ذلك كانت الألواح الطينية الرطبة توضع في تنور وتطبخ بالنار وتصلب تمهيداً للاحتفاظ بها.الكتابة المسمارية في طورها الأول كتابة صورية (كذلك المصرية الهيروغليفية)، ولكن السومريين سرعان ما طوروها لتصبح كتابة مقطعية، وبهذا تم اختزال الرموز المستعملة فيها إلى أصوات المقاطع في اللغة السومرية البالغة حوالي ٥٩٨ مقطعاً صوتياً.

---

[١] الموسوي، هاشم عبود، موسوعة الحضارات القديمة، ط١، دار الحامد للنشر والطباعة، عمان، ٢٠١٣.

[٢] عبد الواحد،/ فاضل الأدب / حضارة العراق / ج ١ / بغداد ١٩٨٥،ص١٥.

وتم فك رموز الخط المسماري في القرن التاسع عشر وبذلك تسنى للعلماء قراءة النصوص الإدارية والرياضية والتاريخية والفلكية والمدرسية والطلاسم والملاحم والرسائل والقواميس المسمارية. ويوجد حوالي ١٣٠٠٠٠ لوح طيني من بلاد الرافدين في المتحف البريطاني.[١]

اللغة المصرية القديمة (الكتابة الهيروغليفية):

ان الكتابة المسمارية هي أقدم كتابة في تاريخ البشرية الى جانب الكتابة المصرية (الهيروغليفية) (hieroglyphs التي ظهرت تقريباً في نفس الفترة. وقد اطلق الاغريق هذه التسمية الاغريقية على الكتابة الفرعونية وتعني (النقش المقدس). وهي أيضاً كتابة صورية (ليست حروفية) مثل السومرية. وقد انتهى استعمال هذه الكتابة أيضاً في نفس الفترة التي انتهت فيها المسمارية أي في القرن السابع ق.م، حيث بدأت الكتابة الحروفية (الابجدية) القادمة من سواحل الشام والتي تعد أول أبجدية في التاريخ.[٢]

ولن ينس التاريخ فضل المصريين على الانسانيه فى اختراعهم الخط الهيروغليفى، واهتموا بالكتابه على أوراق البردى والجدران وبرعوا بصفه خاصه فى الأدب الدينى، ومن أقدم أمثله الادب الدينى نصوص الاهرام وكذلك كتاب الموتى وهو عباره عن كتابات دينيه على أوراق البردى ويتم وضعها مع الميت لتقيه مخاطر ما بعد الموت و قد اهتم قدماء المصرين بالكتابة و التعليم و فى وصية احد الحكماء لابنة كتب يقول وسع صدرك للكتابة و احبها حبك لامك فليس فى الحياة ما هو اثمن منها كما برع الاديب المصرى القديم فى كتابه القصص: و قد كان القصص المصرى الشعبى القديم متطورا الى درجة ان بعض الانماط القصصية التى عرفت و انتشرت فى جميع انحاء العالم كان مصدرها القصص المصرى وأحب المصرى الموسيقى والغناء وأقبل المصريون على الموسيقى واستخدموها فى تربية النشئ وفى الاحتفالات العامه والخاصه وخاصه فى الجيش، وكذلك إستخدموها فى الصلوات ودفن الاموات.[٣]

٢ – تعريف اللغة القبطية:

---

[١] سبيتينو، موسكان، ترجمة السيد يعقوب بكر،الحضارات السامية القديمة، بيروت، دار الرقي للطباعة، ١٩٨٦.

[٢] نور الدين، عبد الحليم، اللغة المصرية القديمة، ج١.

[٣] سنيويوس شارل، ترجمة علي، محمد كرد، تاريخ حضارات العالم، الدار العالمية للكتب والنشر، ٢٠١٢.

وتعرف اللغة القبطية بمحاولة لاستبدال الأبجدية المصرية بالأبجدية اليونانية.. ولا علاقة لهذه المحاولة بالمنطوق الشفهي الفعلي للغة المصرية الشعبية. وقد أتت هذه المحاولة بعد أن ثبّت المستعمر الروماني أقدامه في مصر بعد فترة احتلال طويلة جدا بلغت ما يزيد عن ١٠٠٠سنة.. بدأ من عام ٣٣٠ ق. م.. وحتى عام ٦٤٠ م.

يقول أنطون ذكري.... في سنة ٣٨٩ م حرم الإمبراطور ثيودوس الديانة المصرية الوثنية وغلقت الهياكل تنفيذا لأمره وأصبحت الديانة الأرثوذكسية هي الديانة الرسمية للحكومة.... وبذلك بطلت نهائيا الكتابة الهيروغليفية و الديموطيقية.... واقتبسوا الحروف الهجائية اليونانية وأضافوا لها سبعة حروف من اللغة المصرية بالخط الديموطيقي لعدم وجود ما يماثلها لفظيا في الأبجدية اليونانية وهكذا عرف.. أيها السادة.. هذا الخليط الوليد الذي لا يوجد له أي أساس مصري باللغة القبطية.. التي رفض الشعب المصري بشدة استعمالها في كتاباته الشعبية لشذوذها الشديد وبدائيتها وجهلهم بها.. مما أدى إلى انتشار أمية الكتابة والقراءة بصورة وبائية بين جموع الشعب المصري في ذلك الوقت.[١]

ويقول:

((اندمج كثير من الكلمات اليونانية في اللغة القبطية لأن أغلب الكتب القبطية ترجمت من اليونانية فكان من السهل عليهم نقل الكلمات اليونانية إلى لغتهم.. كما سهل عليهم في بدء الأمر نقل الأبجدية اليونانية.... ولم يجد الأقباط في لغتهم الأصلية كثيرا من الاصطلاحات للتعبير بها عن الأفكار الجديدة التي أدخلتها المسيحية في عقائدهم.... وكانت اللغة اليونانية منتشرة انتشارا كبيرا في أرض مصر في بداية ظهور الديانة المسيحية.... ويعبر الأقباط للآن في بعض طقوسهم الدينية باللغة اليونانية)).

هذه أيها السادة هي شهادة خبير في اللغة القبطية من الأقباط المصريين وهو يشرح لنا بوضوح شديد كيف أن اللغة القبطية واللغة اليونانية هما وجهان لعملة واحدة وعلى ذلك نستطيع أن نعرف اللغة القبطية على أنها اللغة اليونانية المتداولة بين الجالية اليونانية في مصر وبعض المصريين المختلطين بهم ولا علاقة لها باللغة الشعبية المصرية السائدة في ربوع الأراضي المصرية كافة.[٢]

---

[١] ذكري أنطون.. عالم اللغات القبطي الشهير.. في (مفتاح اللغة المصرية القديمة).

[٢] ذكري أنطون.. عالم اللغات القبطي الشهير.. في (مفتاح اللغة المصرية القديمة) تحت عنوان ص١٢٠-١٢٤.

اللغة الآرامية:

كانت اللغة الرامية لغة أسباط آرام وتحولت مع الوقت إلى لغة الحديث فى أجزاء كبيرة من بلاد ما وراء النهرين وسوريا وأرض فلسطين، كما أصبحت اللغة الرسمية للإدارة الفارسية فى فترة الحكم الفارسى للشرق الأدنى. بذلك يمكن تفسير حقيقة العثور على كتابات آرامية فى جميع أنحاء المملكة الفارسية. كما أُطلق على اللغة الآرامية اسم الآرامية الرسمية، فقد استمرت كلغة أدبية لفترة طويلة بعد سقوط الدولة الفارسية. نظراً للانتشار الكبير للغة الآرامية فقد طورت عدداً كبيراً من اللهجات تُقسَّم إلى ثلاث مجموعات رئيسية: الآرامية القديمة، الآرامية الوسطى، الآرامية الحديثة.

ينسب إلى اللغة الآرامية القديمة لغة الكتابة الآرامية والتى يرجع أقدمها إلى القرن التاسع ق.م بما فى ذلك لغة لغة الكتبابات النبطية (سكن الشعب النبطى فى جنوب أرض فلسطين)، ولغة الكتابة التدمرية التى عُثر عليها فى تدمر فى الصحراء السورية.

أما الآرامية الوسطى فقد انقسمت إلى مجموعتين من اللهجات: الآرامية الغربية والآرامية الشرقية. تضم الآرامية الغربية الآرامية الجليلية وهى آرامية التلمود الأورشليمى ومدراش الأجادة وترجمة يوناثان وكذلك لغة الكتابات التى عُثر عليها بين أطلال المعابد فى أرض فلسطين وفى أماكن مختلفة. والآرامية السامرية (لغة الترجمة السامرية للتوراة) والآرامية المسيحية وغيرها. تضم الآرامية الشرقية لغة التلمود البابلى.

ولغة الجاؤنيم والسريانية (اللغة الأدبية للمسيحيين الذين يسكنون شمال العراق) والمندعية (لغة طائفة دينية سكنت جنوب العراق).[١]

اللغة الفينيقية:

اللغة ا لفينيقية لغة سكان فينيقيا – وهى منطقة من الأرض ضمت مدناً وقرى كثيرة أهمها: صور وصيدون وجبل وأرواد وغيرها. ضمت اللغة الفينيقية العديد من اللهجات أهمها: اللهجة القديمة لجبل واللهجة الفونية التى هى الصورة المتأخرة للفينيقية. إستخدمها سكان قرطاجنة فى شمال أفريقيا على بعد ١٦كم شمال شرق مدينة تونس الحالية. واللغة الفينيقية والفونية معروفتين لنا من الكتابات الكثيرة التى

---

[١] محمد حرب فرزات: "تاريخ بلاد الشام القديم" منشورات جامعة دمشق ١٩٩٣ -١٩٩٤.

عُثِر عليها فى مدن فينيقيا وفى قرطاج وأماكن أخرى. ترجع تلك الكتابات إلى الألف الأول وربما بداية القرن الثانى عشر ق.م وما بعده. واللغة الفينيقية قريبة جداً من اللغة العبرية وهناك قواسم مشتركة كثيرة بينهما لكن هناك بعض الفروق كذلك.[١]

الاستنتاجات:

١- تشترك الحضارات الانسانية في اهتمامها باللغة بوصفها اهم مظاهر السلوك الانساني ووسيلة الاتصال المكونة للجماعةالانسانية.

٢- ان المنطقة الهلالية الشكل، أي بلاد ما بين النهرين كانت مهد الحضارة منذ فجر التاريخ حضارات العالم تلتها حضارة مصر ثم حضارات بلاد الشام.

٣- تتسم اللغة السومرية بشخصية متميزة، هي استمرار لتميز بلاد الر افدين ارضا وشعبا، وهي – واللغات الأخرى التي تعايشت معها أو تلتها تاريخيا – تمثل هذا التميز اللغوي في احتفاظها بمبادئ نحو وصرف اختلفت بها عن غيرها من لغات العالم القديم.

٤- ن اللغة السومرية هي أقدم اللغات العراقية القديمة من حيث تاريخ التدوين، بل أنها أقدم اللغات البشرية المعروفة التي وجدت طريقها للتدوين.

٥- ظهرت الكتابة الهيروغليفية في مصر بعد ابتداع الكتابة في القسم الجنوبي من العراق بمدة من الزمن قدرها بعض الباحثين بعدة قرون أو قرنين عل أرجح الآراء.

٦- اللغة السومرية لغة منفردة لا تشبه الاكدية ولا غيرها من اللغات المحلية المعاصرة أو التالية لها سواء في التراكيب أم القواعد أم المفردات أم حتى الأصوات.

٧- كل الحضارات عدت اللغة وسيلة لايمكن الاستغناء عنها، واستفادت منها يده يلتمس منها العون في تفسير الظواهر اللغوية.

التوصيات:

---

[١] محمد حرب فرزات: "تاريخ بلاد الشام القديم" منشورات جامعة دمشق ١٩٩٣ -١٩٩٤.

١- على التربويين والباحثين الاهتمام باللغة كونها الوسيلة الوحيدة التي تتواصل من خلالها الاجيال وهي اداة للتعبير عن الافكار وللتواصل الاجتماعي.

٢- الاهتمام بتراثنا الحضاري وعمل ندوات ومؤتمرات تبين تاثير هذه الحضارات في تطور اللغة الام

٣- عمل اطالس لغوية للحضارات الشرق الادنى القدم عامة ولحضارة وادي الرافدين خاصة خاصة لتمدنا بالمعلومات اللازمة لمعرفة مدى امتداد اللغات القديمة، ويفسر لنا النصوص المبتورة عن هذه اللغات.

٤- االنشاء خرائط لغوية لاتختلف عن خرائط الجغرافيا، إلا في أن ما يدون عليها ظواهر لغوية، تطلع القارئ على أدق الفروق في الأصوات والمفردات بين حضارة واخرى.

المقترحات:

١- عمل دراسة بين اللغة السومرية القديمة ولغة حضارة مصر.

٢- عمل دراسة تبين تاثير الحضارات الاخرى في تطور اللغة كحضارة اليمن.

٣- اجراء دراسة مقارنة بين لغات بلاد الشام الارامية والعبرية والفينيقية.

الخاتمة:

هذه حضارات الشرق القديم قد مرت بأحداث و وقائع حتى أصبحت حضارات يفتخر بها مثل الحضارات الاخرى بما أنها أول حضارات عربية انسانية ممتدة و من خلال دراسها يتعلم الانسان التحدي لجميع العوائق التي تواجهنا في الحياة حتى نتغلب عليها هذا كله تعلمته من شعوب هذه الحضارات وقد تناول الحديث عن تطور اللغة عبر حضارات الشرق الادنى القديم واستخراج ما تضمنته من اشارات في تطور اللغة بوقد تناولتها بشيء من الاختصار.

١- أبراهام بار يوسف ترجمة: عمرو زكريا ، اللغات السامية، موقع جمعية المترجمين العرب.

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري هـ. لسان العرب. ط ١. بيروت: دار صادر. ٤ ١٩٧.

٤- حاتم صالح ضامن،علم اللغة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الاداب،١٣٩.

٥- حجازي، فهمي محمود، مدخل الى علم اللغة، دار قباء للنشر، القاهرة،ب.–ت

٦- حنون،نائل، دراسات اخرى في علم الاثار والنصوص المسمارية ٢٠٠٧، دمشق، ٢٠٠٧، ٣٩.

٧- خضر، طه عبيد. الحضارة العربية الإسلامية. ب، ت، ص١٠٥.

٨- خليف بشار،العبرانيون في تاريخ المشرق العربي القديم، ٢٠٠٤.

٩- ذكري أنطون.. عالم اللغات القبطي الشهير.. في (مفتاح اللغة المصرية القديمة).

١٠- والزغول، عماد عبد الرحيم.(٢٠٠٣). علم النفس المعرفي، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع ط١.

١١- سلمان،عامر،اللغة الاكدية (البابلية،الاشورية)تاريخها وتدوينها، وقواعدها، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥.

١٢- سنيويوس شارل، ترجمة علي، محمد كرد، تاريخ حضارات العالم، الدار العالمية للكتب والنشر، ٢٠١٢.

١٣- السعران محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ،دار النهضة العربية،بيروت، ب–ت.

١٤- سبيتينو، موسكان، ترجمة السيد يعقوب بكر، الحضارات السامية القديمة،بيروت، دار الرقي للطباعة، ١٩٨٦.

١٥- رشاد، العبرانيون في العصور القديمة الاكتشافات الاثرية، ج ٢،القاهرة، ٢٠٠١.

١٦- شلبى، احمد، موسوعة الحضارة الاسلامية، الجزء الاول، الطبعة السادسة ، ١٩٩٦.

١٧- الطنطاوي، وليدعلي الحضارة المصرية القديمة وأسرارها، قسم اللغة العربية كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية – ماليزيا.

١٨- عارف، نصر محمد. الحضارة الثقافة المدنية. ط ٢. المعهد العالمي للفكر. الإسلامي، ١٩٩٤م.

١٩- عبدالرازق، احمد، الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى، ١٩٩٥م.

٢٠- عبد الواحد، فاضل الأدب ، حضارة العراق ، ج ١ ، بغداد ١٩٨٥، ص١٥.

٢١- محمد حرب فرزات: "تاريخ بلاد الشام القديم" منشورات جامعة دمشق ١٩٩٣ –١٩٩٤ ص ١١١.

٢٢- مهران،محمد بيومي،حضارات الشرق القديم.

٢٣- الموسوي، هاشم عبود،موسوعة الحضارات القديمة،ط١،دار الحامد للنشر والطباعة، عمان،٢٠١٣.

٢٤- نور الدين،عبد الحليم،اللغة المصرية القديمة، ج١.

٢٥- الهاشمي، الراجي التهامي، توطئة لدراسة علم اللغة، الدار البيضاء، ١٩٧٦.